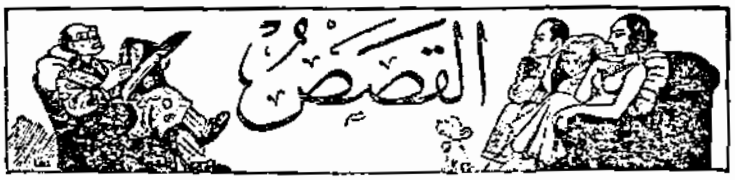

حلم شـــاعر

للأستاذ محمد سعيد العريان

الليلةَ عيد مولده !

أولئك أصحابه وصواحبه قد أحاطوا به فرحين مهلِّلين ، يضيء البشر فى قسماتهم ، وترفّ على شفاههم بسمات الفرح والمسرة ؛ قد تنادَوا إلى موعدهم ودَعوه معهم إلى ناديهم ، ليحتفلوا بعيد مولده !

وإنه لجالس بينهم ولكنه ليس منهم ؛ إنه هنا ولكنه هناك !

* * *

... وفى يده زهرةٌ يعبث بها ... وضمها بين راحتيه ومال عليها برأسه . ما به أن يشمّها؛ فإن عطرها ليأرج حوله وينتشر، ولكنه ينظر ويفكر ...

... وراحت أصابعه تنثرها ورقة ورقة تساقط عند قدميه وهو يعدّ ، وعدّ ثلاثين ورقة ، ثم تعرّت الزهرة من أوراقها إلا عوداً أخضر ليس له عطر ولا رواء ؛ وهمس الشاعر : هذه هى دنيانا ... واختلجت شفتاه وأطرق ؛ وعاد يعد الأوراق المنثورة تحت قدميه ...

... ثلاثون ورقة ! ... ذلك كل تاريخ الوردة ؛ فما هى بعد الثلاثين إلا عود ذابل متغير وورقات منثورة على التراب ، وكانت وردةً عطرة يعبق بأريجها الجو وتهفو إليها الزهرات الطيارة من فَراش البستان ... فماذا يكون هو بعد الثلاثين وقد غربت شمسها منذ ساعات ... ؟

* * *

وعاد ينظر إلى أصحابه وصواحبه ، يبادلهم تحية بتحية ، وكلمات بكلمات ؛ لا يكاد يشعر أن هؤلاء جميعاً قد التقوا على ميعاد ليحتفلوا به فى عيد مولده ؛ فإن سيلاً من الخواطر والذكريات يتدافع فى رأسه الساعة ، فما يكاد يرى أو يسمع إلا نجوى نفسه وهمس أمانيه ؛ وغامت على عينيه غاشية ، فشطح إلى واد بعيد ... وإن أصحابه وصواحبه من المرح والبهجة لا يكادون يشعرون أنهم هنا وأنه هناك ؛ وما اجتمعوا إلا حفاوة بعيد مولده ...!

وأحس الشاعر إحساس الوحدة ، وإنه لبين أصحابه وأصفى الناس له ؛ فتركهم لما هم فيه وتركوه ، وإن وجهاً فى وجه ، وإن ابتسامة تجاوب ابتسامة ، وإن كلمة تحيّي وكلمة ترد ...

وانفض السامر ومضى كلٌّ لوجهه ، ومد الشاعر يده يصافحهم ويشكر لهم ؛ ثم تفرقت بهم السبل ...

* * *

... ووجد الشاعر نفسه وهو يمشى وحده فى جنح الظلام ، وأحس الوحدة الرهيبةَ التى يعيش فيها منذ كان ؛ فمضى يتحدث إلى نفسه ويحدّثه ، وخنقته العبرة فأرسلها ، ثم تتابعت عيناه .

وعاد الزمان القهقرى ينشر على عينيه ماضيه ويذكره أمانيه ...

وقالت له نفسه : هذا سبيلك فامض فيه على هدًى وبصيرة ، وانظر ماذا أعددت لغد ؟

وقال لنفسه : وهل ترين الغد يا نفس إلا صورة من أمس الذى كان؟ وهل ترينى فى غدٍ غير مَن أنا اليوم وغيرَ مَن كنت فى الماضي ؟ ...

لقد تجاوز الثلاثين ولم يزل حيث كان يوم بدأ ؛ فماذا يكون غيرَ الذى كان ؟

وأوى إلى فراشه وأطفأ المصباح ، ليقضى ما بقى من الليل يراوح بين جنبيه فى فراش الوحدة لا يهدأ ولا يستقر !

* * *

كان شاعراً بروحه وفطرته قبل أن يكون شاعراً له لسان وبيان : نظر إلى الناس فى دنياه فاستوعبهم بنظرة ، ثم عاد ينظر إلى نفسه فلم يعرف أين هو من نفسه وأين هو من الناس ؛ وشعر بالوحدة منذ شعر أنه يعيش فى جماعة . وكان له خيال وفى نفسه أمل ؛ فتوزّعته دنياه ودنيا الناس ؛ فلا هو عاش فى دنيا الناس واحداً منهم ولا هو عاش فى دنياه وحده !

وألحت عليه ضرورات الحياة ، فأبت عليه فطرةُ الشاعر أن يلتمس بعض وسائل الناس ؛ فعاش من ضرورته وفطرته بين قوتين تتجاذبانه ، لا سبيل إلى الخلاص منهما معاً إلا أن

يعيش روحاً بلا جسد أو جسداً بلا روح ؛ وهيهات !

وفكر فيما خلق الله وفكر في نفسه ؛ فكأن في كل ما يراه لساناً يحدثه ، وفي كل ما يسمعه معنى يهتف به ؛ وكأن في كل منظور حقيقة غير منظورة لا تتكشف إلا لعينيه ولا يسمع نجواها أحد غيره ؛ فإن وراء الغمام طيوفاً تتخايل له في شكول وألوان ، وإن في لمان البرق ومضات من الإلهام ، وإن في الصمت لكلاماً أبلغ من الكلام ، وإن بين السماء والأرض لعوالم غير منظورة تفضي إليه بأسرارها !

وتكشفت له الدنيا ونضت أستارها ؛ فألهمته أن يغني . . .

وفاض ما في جنانه على لسانه سحراً من النغم يعبر عن أخفى خفايا النفس وأعمق أسرار الحياة ؛ ولكن ألحانه القدسية قد تلاشت أصداؤها في صخب الحياة وضجة الأحياء ؛ فلم يستمع إليه أحد !

وضاق الشاعر بوحدته بين هذا الناس وضاقت به دنياه ؛ فاعتزم الخلاص ... ولكن روحاً لطيفاً أطل عليه من سماواته فثبّت فؤاده ...

وابتسمتْ له فابتسم ، وعادت إلى الحياة نضرتُها في عينيه ، ووجد أنساً من وحشته حين أيقن أنه ليس وحيداً في دنياه !

وعاد يغني ... ولكن غناءه اليوم ليس له وحده ؛ إنه لحن مؤلف من خفقات قلبين قد اجتمعا على أمل ...

وغنى بها عن الناس ، وغنيتْ به ؛ فما يهمه اليومَ أن يسمع الناسُ ما يصدح به من أغاريد الحب أو يكون لها وحدها شدْوُه وغناؤه ! !

آه ... لشدّ ما تقسو عليه دنياه !

كان ذلك منذ سنين ، أما اليوم ، فقد عادت تقاليد الجماعة تضرب بينه وبينها بسور ليس له باب ؛ وعاد إلى الحياة وحده ، لا يدري من أمرها ولا تدري من أمره . . .

* * *

... وأشرق الصبح عليه صبيحة عيد الميلاد ، وما زال يراوح بين جنبيه في فراش الوحدة لم تغتمض عيناه !

ما هو ؟ وأين هو ؟ وما دنياه ؟

إنه ليحس من حوله فراغاً هائلاً ليس له قرار ؛ وإن الوحدة لتكتنفه ، فما يشعر أن ثمة أحداً بجانبه يفزع إليه ليؤنس وحشة قلبه ؛ وإنه ليعيش من زحمة الحياة وصخب الأحياء في ضجة يموت فيها النغم ويتلاشى الصدى ؛ ففيم العيش ؟ وما جدواه ؟ وإلى أي غاية يفضي ؟

وعاد يلتمس الوسيلة إلى الخلاص ! ...

وقالت له نفسه : أتحسب يا صاحبي أنك قد فرغت من دنياك حين خلوت إلى نفسك ؟ فما أنت بشاعر ! ... لئن كنت قد عفت الحياة وكرهت المقام في دنياك لأمر من أمور دنياك — إن الحياة ما تزال تطالبك بحقها عليك ؛ فإن أدّيته ... وإلا ، فلست من شعرائها ، ولا كنت ! ...

... ما الشعر إلا رسالة الحياة إلى الأحياء تعبر عن أسرار الحياة ومعانيها ؛ وما هو إلا قبَس من نور السماء يتنزل على قلب بشر لتنير به السماء ما حوله من ظلمات البشرية ؛ وما هو إلا إحساس زائد على إحساس الناس يرى ما لا يرى ذو عين ويسمع ما لا يسمع ذو أذن ؛ وما هو إلا وحيٌ يوحَى من وراء الغيب إلى إنسان تكون فيه زيادة على الإنسانية ؛ وما هو إلا إدراك كامل يكشف عن مظاهر الجمال في الكون ويهدي إلى الحق والخير

... أفتراك يا صاحبي قد بلغت رسالة الشعر حين حسبت أنك قد فرغت من دنياك ، أم أنت ... ؟

وأطرق الشاعر برهة يفكر ثم نهض لأمره ...

بلى ، إن عليه رسالة يؤدّيها وواجباً ينهض له ؛ فلا عليه من الناس حتى يبلغ ، فإذا انتهى من أمره فإن نفسه له خالصة يمضي بها حيث يريد

وأمات في دخيلته دواعي النفس ونوازع الهوى ومضى لغايته ...

وعاد يغني ... غير آمل ولا خائف ، وما به من شيء ضجرٌ ولا ملالة ؛ وأنس وسمتْ روحه في آفاقها إلى ظل عرش الله ، حين قمع شهوات نفسه ونوازع هواه وآثر أن يكون نوراً يضيء للناس وهو يشتعل ؛ فلقيت أغانيه من يسمع فيعي !

وأفاق الناس على لحن علويٍّ ساحر ينشده شاعر وهب نفسه للدعوة إلى الحق والفضيلة والجمال ؛ ونظروا ، فإذا هو هو ، ولكنه صار شخصاً غير من كان ، لا تتصباه المنى ولا يعبث به هواه ، وليس له في الحياة إلا هدفٌ واحد يسعى إليه ...

وجاءه المجد حين لا حاجة إليه ...

وأشارتْ إليه من النافذة بنانٌ مخضوبة وتقول : إنه لَهْـو !

ولكنه لم ير ، ولكنه لم يسمع ...

وسمى ساعيها إليه يسأله : أئنك لأنت … ؟

قال : نعم ، قد كان ذلك يوماً !

* * *

وعلى باب الكوخ المنفرد على حدود العمران ، جلس الشاعر على الرمل مرتفقاً إلى صخرة نائتة ، يسرّح بصره فى الفضاء الممتد إلى ما لا يبلغ النظر ، وفى نفسه أنس ، وفى قلبه هدوء ورضاً واطمئنان ، وعلى لسانه تسبيح وعبادة !

لقد كان فى مجلسه ذلك بحيث لا تراه عين ولا تسمعه أذن ، ولكنه لم يكن وحده ، لأن الله معه !

واستيقظ الشاعر بعد غفوة ، وابتسم …

لقد أدّى رسالته ، ولكنه لم يكن فى أىّ أيامه أكثر حباً للحياة منه يومئذ !

لقد تحقق حلمه بعد لأى ، ووجد تعبير رؤياه !

محمد سعيد العريان

٢٣ - ١٤

شجاعة المرأة الكردية

[قصة تاريخية واقعية لم يحن الوقت بعد لذكر أسمائها]

للآنسة الأديبة سانحة أمين زكى

حدث أنه كان فى منطقة … رجل نبيل مهيب الجانب قد وهبه الله من الشجاعة والكفاية قدر ما وهبه من جمال الرجولة وقوة الشباب ، ومن ذلك كان رجاله يحترمونه ويقدسونه حتى ليرفعونه إلى مصاف الآلهة ، وقد هيأت له الأقدار زوجة هى صورة مصغرة له ولصفاته ، قد حباها الله ثروة من الجمال والذكاء والشجاعة ، فهى تجيد الرماية إلى أقصى حد ، وتتصدر المجالس ساحرة ، وتنافس الرجال فى أعمالهم ، والشعراء فى فنهم ، والعلماء فى علمهم ؛ فكانت بذلك مثلاً أعلى لبنات قومها ، وصورة بديعة ناطقة للمرأة الكردية

كان الرجل يحب زوجته ، وكانت هى تبادله حباً بحب فعاشا مدة من الزمن يرفرف عليهما طائر السعادة بجناحيه ، يخرجان معاً للصيد ويتسابقان فى العدو ، وأتباعهما يشيعونهما بنظرات ملؤها الحب والغبطة وهما فى لهوهما لا يحملان هماً من هم الحياة !

وحدث أن قدم الملك … إلى هذه المنطقة تمهيداً للاستيلاء عليها وضمها إلى ممتلكاته . فلما تم له الأمر ، أولم وليمة فاخرة ، دعا إليها جميع نبلاء وحكام هذه المنطقة ، وكان من بينهم هذا النبيل ، فما كاد الملك يراه حتى أعجب بذكائه ، فلما سأل عنه سمع مازاده حباً له وتعلقاً به ، فرغب فى ضمه إلى بطانته ليأنس به ، ويستمتع بعلمه وفضله ويتخذه سلاحاً من أسلحته ؛ فلما عرف هذا النبيل رغبة الملك لقيها بالقبول لما رآه من عطفه على المغلوبين من إخوانه، وتواضعه لمن حوله؛ ورضى أن يكون مرافقاً له، وشد الرحال مع زوجته وخدمه ميممين شطر العاصمة ، ولو درى المسكين ما يخبأه له القدر وراء هذه الرحلة من الشر لما رضى أن يرحل ولما خطا خطوة فى هذا السبيل

وصل النبيل وحاشيته إلى قصبة الملك ، فأفرد له الملك قصراً فخماً فى وسط حديقة غناء ، سكن فيه هو وزوجته فى أسعد حال وأهنأ بال ، واستأنفا ما كانا عليه من قبل : من صيد وقنص ومرح، والجميع يتغنون بمحاسن هذه المرأة وجمالها الذى جلب عليها الوبال فيما بعد . وما زال جمال المرأة منذ كانت أس البلاء ومنبت الشر ، وما زال سبباً إلى الكوارث الفاجعة ، ما دام هناك رجال تسوّل لهم نفوسهم أن ينظروا إلى ما لا تملك أيديهم . وكان واحد من النبلاء – وإن لم يكن فى طبعه شىء من صفات النبل وكرم النفس – مقرباً من الملك، صديقاً له، لا يخطو الملك خطوة إلا عن أمره، ولا يقطع فى رأى إلا بمشورته ؛ فرآها يوماً خارجة لنزهتها المعتادة ، منتصبة فوق صهوة جوادها ، رافعة الرأس ، باسمة للطبيعة يتبعها خادماها الأمينان لا ينفكان يلاحظانها بعيونهما ، كما ينظر الكلب الأليف إلى صاحبه ، ولكنهما على ما كان يبدو عليهما من الضعف بإزائها ، كان من شجعان الرجال ، قد أخذا الأهبة للذود عن سيدتهما وقتل كل شرير تسول له نفسه الخبيثة أن يحاول الاقتراب منها؛ فلم يجد النبيل سبيلاً إلى التقرب منها أو سماع صوتها واكتفى بالنظر إليها والتملى بمحاسنها على بعد؛ وأحست المرأة بغريزتها أن هناك من ينظر إليها، فالتفتت، وحين التقت نظراتها بنظراته ، ورأت ما فى عينيه من حديث نفسه الدنيئة … ظهر الغضب فى وجهها ، وأدارت رأسها ، كأن النظر إلى وجهه يدنسها … لكن ذلك النبيل لم يبال ما رأى ، بل ابتسم ابتسامة فيها وعيد وتهديد . وحين رجع إلى بلاط الملك قص عليه قصة هذه الحسناء ووصف له تعلقه بها وحبه لها بلا حياء … وأخذ يستعطفه ،

ويطلب منه العون ... فأثر ذلك في نفس الملك، وهوّن عليه الأمر وطلب منه الصبر ، حتى يحين الوقت المناسب ...

* * *

والتقت الزوجة بزوجها ، فقصت عليه ما رأت ، بصوت يرتجف من الغضب ، ويدل على ما كانت تشعر به من الذل والمهانة لما أصابها ... فهدأ الزوج الكريم ثائرتها ، وذهب يستطلع الأمر وحين علم أن الملك راضٍ عن عمل صديقه ، ثارت نفسه الأبية للدفاع عن عرضه ، وزاد في غضبه ، ما رأى من سوء معاملة الملك لأصدقائه ، واحتقاره لهم ، وتنكيله بهم ، وما فرض من الضرائب المرهقة على المنطقة التي ينتسب إليها، والتي يشعر أن عليه حقاً لها، وما سلب أهلها من الحرية ...

هذه العوامل مجتمعة ، فعلت فعلها في نفس هذا النبيل ؛ فحقت ما كان يشعر به من الحب للملك ، وحملته على التفكير في قتله ، ليريح منه ، ولينتقم ! غير مبال بعاقبة ذلك ، ما دام فيه صيانة لشرفه ، وتخليص لشعبه من آصار العبودية التي يرسف فيها تحت ظل هذا الملك الطاغية !

* * *

رجع النبيل إلى زوجته ، والغضب يطويه وينشره ، وعوامل مختلفة تصطرع في نفسه ، وأخبرها أنه ذاهب لقتل الملك ، فإن نجح في ذلك فقد بلغ ما أراد ؛ وإن لم يتمكن من قتله أو لم يستطع الإفلات بعد تنفيذ عزيمته ، فعليها أن تدافع عن شرفها حتى آخر لحظة من عمرها . ثم تمنطق بغدارتين ، وودع زوجته وداعاً حارا ومضى لشأنه . وأبت الزوجة الشجاعة أن تلجأ إلى البكاء والنحيب بلا جدوى ؛ بل اكتفت بالسكوت وبالنظر إلى زوجها كأنها تحاول أن ترسم صورته في مخيلتها جيدا

وصل الرجل إلى البلاط ، وتمكن من الدخول بسهولة؛ لأنه كان معروفاً هنالك، ووصل بهدوء إلى غرفة الملك الخاصة، وكان الملك في ذلك الوقت جالساً يطالع غافلاً عما يدبّر له . وحين رأى صديقه بالأمس داخلاً والشرر يتطاير من عينيه ، استولى عليه حب الحياة ، فحاول الهرب ، ولكن الرجل لم يمهله ، بل أطلق عليه خمس رصاصات من الغدارة الأولى ، ولكنه لم يصبه لشدة انفعاله ، فأراد أن يرد الغدارة إلى منطقته كي يستعين بالغدارة الثانية ، ونسي أنه لا يزال هناك رصاصة أخرى فيها ، فما كاد يضعها في منطقته ، حتى انطلقت هذه الرصاصة وأصابت منه مقتلاً . فسقط متضرجاً بدمائه الزكية تحت أقدام الملك

أما الزوجة فإنها بعد ذهاب زوجها صعدت إلى أعلى غرفة في منزلها ، وتزوّدت بما قدرت عليه من الطلقات ، وحصنت الغرفة بما وضعت من الأثاث خلف الباب كالمتاريس ، وجلست في حصنها متأهبة لما يكون، وهي في شك من قدرة زوجها على الإفلات بعد تنفيذ عزيمته ، ولكنها لبثت تنتظر ! ولم يطل انتظارها طويلاً حتى قدم جنود الملك وأحاطوا بالمنزل ، فحينذاك عرفت كل ما كان ، وأيقنت أن زوجها قد مات ! فتلاشت رغبتها في الحياة ، ولم يبق في نفسها إلا سعير يضطرم يدفعها إلى الثأر . وطلب إليها الجنود أن تنزل ، فأجابتهم بإطلاق الرصاص فأجابوها ناراً بنار ، ودارت المعركة ، فما استطاع الجنود أن يصيبوها وهي في ذلك الحصن الحصين ؛ على حين استطاعت هي أن تقتل اثني عشر رجلاً منهم . وعلم الجنود أنهم لن يبلغوا منها مبلغاً ، وصغرت نفوسهم حيال هذه المرأة الجريئة فلم يجدوا إلا أن يشعلوا النار بالمنزل ليحترق بها وتموت بين الأنقاض ، وأيقنت المرأة أنها على شفا الموت حرقاً، فصاحت بالجنود تخبرهم أنها تستسلم على شرط أن يتقدم الرجل الذي سبّب هذه الكارثة فيعطيها الأمان ويضمن لها السلامة، ففرح الرجل الفاجر وأيقن أنه قد بلغ أمنيته ، وتقدم متبختراً يريد المنزل ، فلم يكد يقترب من الباب حتى أصابته رصاصة في جبينه، فخر على الأرض قتيلاً جزاء وفاقاً على ما سبب لهذه الأسرة الهانئة من الشقاء والبلاء !

ولما انتقمت المرأة لنفسها ولزوجها وللأرواح التي أزهقت، هدأت ثائرتها وعلمت أنها قد أدت واجبها ؛ فخيّل إليها كأن صوتاً من الغيب يناديها إليه ، هو صوت زوجها ، فوضعت فوهة المسدس على جبينها وهتفت باسم زوجها لآخر مرة ثم أطلقته ؛ فصعدت روحها الطاهرة إلى بارئها ، وانطفأت شعلة حياتها وهي في ريعان الصبا وزهرة الشباب !

(بغداد) سامحة أمين زكي

لا زكام بعد الآن !
أحدث الاكتشافات العلمية في صحة الفم ، اليودلي عجينة للأسنان :
يودكالكلورا
الطلب للشركة العلمية الخاصة سد جلال نهورمان ص بوستة ٢١٠٥ بمصر